

دلائل الإعجاز

فكما أنه إنَّما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقرى والضيافة فكأنَّ عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك أن يصرِّح فيقول : قد عُرِفَ أنَّ جنابي مألوفٌ وكلبي مؤدِّب لا يهرِّس في وجوه من يغشاني من الأضيافِ وأني أنحرُ المتتالي من إبلي وأدعُ فصالها هزلي .

كذلك إنما راقك بيتُ زياد لأنه كدسي عن إثباته السماحة والمروءة والندى كائنة في الممدوح جعلها كائنة في القبيصة المضروبة عليه . هذا - وكما أنَّ من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تجيء على صورة مختلفة كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة أن تجيء على هذا الحدِّ ثم يكون في ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الكناية عن الصفة نفسها . تفسيرُ هذا أنك تنظرُ إلى قول يزيد بن الحكم يمدحُ بن يزيد بن المهلب وهو في حيس الحجاج - المنسرح - :

(أَمْ يَجَّ فِي قَيْدِكَ السَّمَّاحَةُ ... والمجدُّ وفَضْلُ الصَّالِحِ وَالْحَسَبُ) .

فتراه نظيراً لبيت زياد وتعلِّم أنَّ مكان القيد هاهنا هو مكان القبيصة هناك . كما أنك تنظرُ إلى قوله : " جان الكلب " فتعلم أنه نظيرُ لقوله - الطويل - :

(زجرتُ كلابي أنَّ يهرِّس عَقُورُها ...) .

من حيثُ لم يكن ذلك الجبن إلا لأنَّ دام منه الزجرُ . واستمرَّ حتى أخرج الكلب